مقـــدمة

تعد السينما من أحدث الفنون التى توصل اليها الانسان فعمرها لا يزيد عن المئة عام إلا قليلا على حين يزيد عمر الفنون الأخرى المتصلة بها كالمسرح والموسيقى على العديد من القرون .

وفن السينما يعد أداة من أدوات الثقافة المعاصرة بما يحمل فى مضمونه الى جانب الترفيه عن الناس المساهمة فى تكوين الانسان الواعى

والسينمائيون رافد مهم من روافد نشر الثقافة فى المجتمع المصرى إذا أدوا أدوارهم بصدق وموضوعية خاصة وأن مهمة الممثل الأساسية هى أن ينقل الأفكار والأحاسيس إلى المشاهدين بوعى ودراية يستطيع من خلالهما تشكيل الوجدان العام للانسان المصرى .

وتاريخ السينما سجل حافل بتاريخ الانسان ، ومرآة عاكسة لحياته وعالمه وأفكاره كما أنه رصد لارادة الفنان فى جعل الانسان يعى حقيقة الانسان ، يضاف إلى ذلك أنه سلاح عصرى تبرز أهميته فى أنه يجمع بين العديد من الفنون من تصوير وتلوين وتمثيل وأدب وقصة وموسيقى كما أن تأثيره يتغلغل فى عقلية المشاهد أكثر من أى فن آخر ، وعن طريقه يمكن ملأ حياة الناس بالفن والفكر والمعرفة والخيال والعواطف السامية التى تحفز على التقدم والتنوير ، وعن طريقه يرتفع مستوى الذوق العام ، ويتماسك المجتمع ويتم تهذيب نمط حياة الناس وعادتهم فى إطار من التنكيت والتبكيت ، وعن طريقه أيضا تكمن

المخاطر والمضار على العقلية المصرية فاذا لم يحسن استخدامه يكون سببا فى تدهور الاخلاق وإفساد أذواق النشئ والشباب خاصة إذا تم عرض صور العنف والجرائم والأفكار الهدامة ، وصور الانحلال المخالفة لآداب المجتمع العامة ونظامه . وما أكثر الأفكار الفاسدة التى تسللت إلى الانسان المصرى من خلال السينما ، وما أكثر الأحكام الخاطئة والتشويه الذى لحق بالقيم الفكرية والروحية والذوق المصرى من خلال السينما (١) .

ونتيجة لذلك كانت السينما فى مصر ، ومازالت مثارا لجدل شديد حول ماهيتها ، وهل قامت بدورها المنشود أم تعثرت فى خطواتها ؟وهل ايجابيتها أكثر من سلبياتها أم العكس ؟

وعلى الرغم من الكتابات المتعددة التى كتبت عن تاريخ السينما المصرية فان أحدا لم يتناول هذا الموضوع بعين ناقدة ، أو بطريقة موثقة منبثقة من قواعد البحث العلمى كما أن أحدا لم يقدم رواية متكاملة تقوم على دراسة تاريخ السينما فى مصر من منظور اجتماعى يربط بين هذه التجربة وحركة التغير الاجتماعى فى مصر بحيث يتم وضع ظاهرة السينما فى الإطار العام لتاريخ مصر والمصريين .

ومن المعروف أن تاريخ السينما المصرية ارتبط فى بداية عهده بالأجانب خاصة الايطاليين ، واستمر الحال كذلك حتى قامت ثورة ١٩١٩ فازدهرت فكرة ضرورة قيام بعض أبناء مصر بمشاركة الأجانب فى هذه الفن وبجهود فردية يتمتع أصحابها بقوة الارادة والتصميم والتفانى تبلورت الفكرة إلى حيز الواقع فظهر ستوديو مصر ذلك المعهد الفنى الذى تخرجت فى قاعاته

---

(١) – طه حسين : مستقبل الثقافة فى مصر جـ٢ ، القاهرة ، مطبعة المعارف ١٩٣٨ ص ٥١٧ .

معظم الطاقات الإبداعية الوطنية والقدرات الحرفية التى استطاعت أن تشارك فى منظومة الفن السينمائى ، وأن تملأ حياة الناس بالمعرفة والفكر والخيال ، وسارت الأمور نحو التطور بطريقة تدريجية حتى تحولت السينما من مرحلة الفيلم الصامت إلى مرحلة الفيلم الناطق فى عام ١٩٣٢ ، وظهرت الأغانى فى الأفلام فتعلق الناس بالسينما أكثر من المسرح ، وازداد اقبال الجمهور عليها .وبعد نشوب الحرب العالمية الثانية ، ونجاح تجار الحروب والطبقات الطفيلية من اقتحام مجال السينما ، صنفت السينما ضمن السلع التجارية التى تخضع لحسابات الربح والخسارة ونتيجة لذلك انحصر النشاط السينمائى فى دائرة ضيقة اقتصرت على أفلام التسلية وقصص الحب والغرام دون التطرق إلى واقع مصر الاقتصادى والاجتماعى والسياسى حتى قامت ثورة ١٩٥٢ وكان لابد من اعادة التقويم فعاشت السينما تجربة القطاع العام بمحاسنها ومساوئها ، وبعد انحسار التجربة الناصرية ، وبداية الحقبة السادتية عاد القطاع الخاص الى السينما ، وظهرت أفلام الإنفتاح بآثارها السلبية ، كما ظهرت بعض الأفلام الجيدة التى حاولت بث روح الاعتزاز بمعانى الوطنية والفداء خاصة بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وفى السنوات الأخيرة وبعد أن وصلت السينما إلى حافة الهاوية وأخذت تلفظ أنفاسها الأخيرة فالمأمول من الدولة بذل الجهود لإعادة السينما كفن جماهيرى يستطيع أن يلعب دوراً فى خدمة قضايا الشعب المصرى بدلاً من أن يديرها أُناس معظمهم يتسابق على الربح أكثر من تسابقه على الانتاج الجيد .

د . عبد المنعم الجميعي

القاهرة - المهندسين سبتمبر ١٩٩٨